

ظلت أبواب القصر موصدة وانخنا إبلنا وأنزلنا الأحمال من على ظهورها، ثم تمددنا لنتام في ظل حائط القصر . وخرج أعرابي بعد الظهر من باب خلفي وناداه محمد ، وسأله أهل الشيوخ (جالسين) وهو تعبير عربى بمعنى هل هم على استعداد لاستقبالنا فأجاب الأعرابي : كلا ليس بعد . وطلب منه محمد أن يبلغ الشيوخ أن إنكليز يا قد وصل من حضر موت وأنه يبغى مقابلتهم، وسأل الأعرابي وأين هذا الانجليزى فأشار محمد إلى . وبعد هذا بنحو من نصف ساعة خرج عاينا أعرابي شيخ وجه الينا بضع أسئلة ثم قفل راجعا إلى القصر وعاد بعد قليل ليدعونا الى الدخول وسار بنا الى حيث كان (شخبوط) حاكم ابى ظبى واخواه هزاع وخالد وقد نبض الجميع عند دخولنا فتبادلنا التحية وجلسنا . كان شخبوط رجلا ضئيل البنيان شاحب اللون ذا تقاطيع منتظمة ولحية سوداء قد شذبت في عناية وكان مجاملا، يتكلم فى هدوه ويتحرك فى حذر. ونادى شخبوط رجلا من أتباعه دار علينا بالقهوة والتمر ثم سألنا عن رحلتنا، ولما ذكرت له أنني زرت ضواحي (اللوى) فى العام الماضى عقب هزاع على هذا بأنه سمع إشاعات عن مسيحي كان هناك ، ولكنه لم يصدق ذلك فليس من المعقول أن يأتى اوروبى ثم يذهب دون أن يراه الناس ، والبدو لا يعتمد كثيرا عليهم فى مثل هذه الأحوال مما جعلنا نعتقد أنهم كانوا يتكلمون عن توماس الذى عبر الصحراء منذ ستة عشر عاما . وانتهى حديثنا وسار بنا الشيوخ الى البيت الذى أعد لنزلنا وهو منزل كبير مهتمد ، فتسلفنا سلما متها لكا إلى غرفة خاوية ، قدفرشت بالسجاد استعدادا لاستضافتنا . وأمر شخبوط خادمين من أتباعه كى يعنيا بنا . وفى المساء وصل الخدم يحملون الطعام الوفير فأكنا حتى شبعا وجلسنا بعد الاكل وجلس الخدم بيننا دون كلفة فالخادم فى البيت العربى فرد من أفراد الأسرة وليست هناك طبقية كالمعروفة لدينا ، ونظرت إلى البساطة العادية التى تتسم بها الغرفة ، فبدت فى نظرى أفضل من أى أثاث فاخر . وعشنا عشرين يوما فى (أبى ظبى) وهى مدينة صغيرة ، يبلغ تعدادها الفى نسمة ، وكان الشيوخ يزوروننا كل يوم يتقدمهم (شخبوط) بشكله الجليل وعباءته السوداء واعتدنا طيلة اقامتنا فى (أبى ظبى) أن نتجول فى سوق المدينة أو على شاطئ البحر . وحدث أن زارنا فيمن كان يزورنا رجل من آل رشيد يدعى (بخيت الدهيمى) وكنت قد سمعت عن شجاعته عندما كنت على الساحل الجنوبي وعندما علم (بخيت) إهدا أننى زاهب الى (البوريمى) أعلن استعداده لمرافقتى، وتدبرت الامر مع (شخبوط) وطلبت إليه أن يرسل (بخيتا) قبلنا، ليبلغ زايد بن سلطان أخوا شخبوط فى البوريمى أننا قادمون . كمنت مشوقا للاختراق عمان وزيارة المواقع التى وصفها لى (سطيون) واعتقدت أن فرصى كى أذهب إلى هناك ، ستكون من البوريمى وكنت أمل ان يستطيع زايد مديد المعونة إلى فأحقق أمنيتى أو على الأقل، أقوم بعمل بعض التحريات المفيدة عن عمان وأنا فى البوريمى. وغادرتنا أبو ظى ومعنا الدليل الذى زودنا به شخبوط . وكان ذلك فى اليوم الثانى من شهر ابريل ووصلنا للبوريمى بعد أربعة أيام قطعنا فيها مائة ميل . وهناك حدث دلريف يلذ لى أن أقص قصته . فرو يبين ناحية هامة من جوانب النفس البدوية . فى مساء اليوم الذى سبق وصولنا واحة (البوديمى) كنت مستلقيا على الأرض فى نشوة أراقب أبن قبينه وهو يشوى بعض الفطر والبطاطا ، وحدث أن داعب أبن غبيشه قدمى فرفسته بشكل غريزى بحت فأصابته الرفسة فى جنبه فارتضى أرضا وأسرعت نحوه مضطربا ، ولكن ابن قبينه بادرنى قائلا إنه خير واعتدل ان غبيشه فى جلسته وقال لى معاتبيا لماذا تحاول قتل أخيك ؟ فاعتذرت إليه فضحك قائلا : إنى لا علم انك ما كنت تقصدما فعلت وسألت ، أبن قبينه ماذا كان يفعل لو قتل ابن غبيشه حقا، فأجاب على الفور : لو أن هذا حدث لقتلتك وحاولت الاعتراض قائلا : ولكن هذا أمر غير مقصود فأجاب : لن يغير ذلك من الأمر شيئا . وهنا أدركت أن البدوى يطلب حياة مقابل حياة سواء كان هناك قصد أو لم يكن ، وقد يقبل الفدية اذا هدأت تآثرته وكان القتل دون قصد . وفى صباح اليوم التالى وصلنا (مويق) إحدى القرى الثمانى الصغيرة فى واحة (البوريمى) وكان بها قصر زايد ، وشاهدت نحو من ثلاثين اعرابيا جلوسا فى ظل شجرة شوكية أمام القصر ، وقال لنا دليلنا إن الشيخ جالس فاتجهنا نحوه وحيدت الجمع وتبادات الأخبار مع زايد وهو رحل تبدو عليه مخايل الفطنة يتميز عن رفاقه بعامله الأسود وبالطريقة التى بلبس بها كوفيته منسدلة على كتفيه بدلا من أن تكون ملفوقة حول رأسه. وكان ذا شهرة كبيرة بين البدو يحبونه لبساطته ودماثة خلقه وقوته الجسمانية الخارقة. وقدم لنا خادم القهوة والتمر كالعادة وسألنى زايد عن رحاى واهتم كثيرا عندما علم باجتيازى لبلاد الدورو فى العام الماضى. وعجب كيف استطعت أن اجتاز الادم، وأفهمته أنى ادعيت أننى تاجر سورى فقال ضاحكا : لو فعلت هذا معى لاكتشفت أمرى فى الحال . وبقيت شهرا فى ضيافة زايد، وحضرت مجلسه حيث يتوافد الناس وبيتونه شكواهم فيفصل فيها . كان زايد ممثلا لشخبوط فى البوريمى. ولكنه كان يحكم سنا من قراها بنما يحكم القريتين الأخيرتين سلطان مسقط . وكان لكل شيخ من شيوخ ساحل الهدنة فرقة من الاتباع المسلحين من رجال القبائل الا ان شخبوط وحده كان ذا سلطة ونفوذ بين القبائل كلها . وكانت شركة النفط العراقية قد وقعت اتفاقيات مع سلطان مسقط وشيوخ ساحل الهدنة ، تشمل الاراضى المحيطة بواحة البوريمى ، وقد حاولت

انجلترا اقناع القبائل بقبول هذه الاتفاقيات ، ولكن ذلك لم يكن بالأمر السهل ، فلم يكن لزابد نفوذ جنوبي واحه البوريمي ونفوذ السلطات على هذه المنطقة كانت اسميا فحسب ولم يكن له ممثل قوى فى تلك البقعة ، وأصبح كل شيخ يحاول تأكيد استقلاله معتقدا أن بوسعه الحصول على شروط خاصة لنفسه برفضه الاعتراف بأى سلطة فوق سلطته ، لذلك بدت فرصة ذهابى إلى عمان صعبة بالنسبة الى . وأكثر سكان عمان من (العبادية) وهم فريق من الخوارج الذين انشقوا على المسلمين أيام الخليفة الرابع على بن أبى طالب . ومنهم سلطان مسقط الحالى الذى حكمت أسرته عمان منذ عام ١٧٤٤ ، ولكن سكان عمان كانوا دائماً ضد أسرة (أبو سعيد) الحاكمة مما حدا بالقبائل الغفرية والحناوية إلى القيام بالثورة عام ١٩١٣ وانتخاب سالم بن راشد الخروصى إماماً ، ففقد سلطان مسقط كل سلطة له فى داخل البلاد ، وفى سنة ١٩٢٠ اغتيل الإمام فانتخب العمانيون محمد بن عبد الله الخليلي إماماً ، ثم وقعت معاهدة (السيب) بين السلطان والشيوخ فى عمان لا بين السلطان والإمام كما هو مفروض (وكان هذا بتدخل الانجليز طبعاً) . وفى هذه المعاهدة تعهد السلطان بعدم التدخل فى شئون عمان الداخلية . والإمام محمد بن عبد الله رجل محافظ يكن العداء الشديد للسلطان وللانجليز ، ولهذا السبب كانت رحلتى داخل الأراضى العمانية أمراً بالغ الخطورة . غادرنا (موبق) فى أول مايو ومعنا أربعة من أتباع زايد . كانت البلاد جميلة تمر بها عدة مجار مائية تمتد من أسفل الجبال وتتهى بالصحراء مغطاة بأشجار الغاف والأقاصيا التى كانت خير طعام لإبلنا ولكن الطقس كان حاراً . ووصلنا الى (الشارقة) فى العاشر من شهر مايو واستضاقى (نزيل جاكسون) الضابط السياسى البريطانى فى ساحل الهدنة ، وودعت رفاقى فى (الشارقة) مؤملاً أن أراهم مرة ثانية بعد أربعة أشهر ، حيث نزلت ضعيفاً على (أدوارد هندرسون) الذى كنت معه فى سوريا خلال الحرب وهو موظف الآن بشركة نفط العراق ، وتعتبر مدينة (دى) أكبر مدينة فى هذه المنطقة وسكانها يصلون الى خمسة وعشرين الف نسمة . وخطرت بذهنى فكرة السفر الى البحرين وكان ذلك من السهل باستعمال الطائرة من الشارقة ولكنى فضلت استخدام القارب الذى قطع المسافة فى أحد عشر يوماً بدلاً من أربعة كما جرت العادة ، ولعل السبب فى ذلك ان القبطان كان نصف اعمى وقد قضى معظم وقته نائماً على مؤخرة السفينة ومساعدته الزنجى يصف له ما يراه فيمده بارشاداته . لقد أكرت فى قارب لأنى أردت اختبار العرب كبحارة ، فقد كانوا يوماً شعباً يميل الى ركوب البحار، تبحر سفينته حول سواحل الهدنة الى جزر الهند الشرقية وربما الى أماكن أقصى من تلك ، وكان ساحل الهدنة الذى خلفته ورائى يدعى ساحل القرصنة فكان مخوفاً كان ثمة سبب أعمق من كل هذا. حدا بي الى استخدام القوارب لا الآلات التى أصبحت تسيطر على عالمنا، ولا زالت افكارى تعود لى إلى الوار. أيام أن كنت بالمدرسة وكنت أشعر بالاستياء اذا ما قرأت عن شخص طار فوق المحيط الأطلسى أو سافر عبر الصحراء فى سيارة . العربية كى أجمع النبات أو أرسم مصوراً . فرزه كماها أمور طائرة . لقد ذهبت الى هناك أنشد السلام وسط قسوة الصحراء ومع زمالة سكان البادية . ووصلنا البحرين فى الثامن والعشرين من شهر مايو . وعدت من انجلترا فى أواخر شهر أكتوبر . ونزلت فى (ديبى) ، كان مسلم وابن الكمام ينتظرانى ، وقد أقيا من اليمن لينضمنا إلى فى رحلتى . وغادرنا (ديبى) إلى (أبى ظب) فى السابع والعشرين من الشهر وكنت معتزماً أن أغادرها إلى البوريمي فى الحادى والثلاثين من الشهر ، ولكن هطول الامطار الغزيرة حال بيننا وبين السفر فنصحننا شخبوط أن نبق يوماً آخر فى (أبى ظبى) . وفى أول يوم من شهر نوفمبر بدأنا رحلتنا فوصلنا (الموبق) بعد أربعة أيام ، واستقبلنا زايد هناك وأنبأنا أن ابن قبينة وابن غبيشة وعمير سيعودون حالما يسمعون بوجودنا . ووصل الثلاثة فى وقت متأخر من الليل، وعلمنا منهم أنهم قضوا الصيف فى نهب القبائل المعادية. والخدمة كجنود باحثين عن الثروة مع الشيوخ الحليين كنت تواغا إلى استكشاف واحه (اللوى) قبل أن أبدأ رحلتى إلى عمان ، وقد نصحنى زايد أن أصطحب شيخاً من آل رشيد يدعى (ابن طاهى) كدليل عرف عنه أنه يعرف كل زاوية وثقب ماء فى الصحراء . وقد سر ابن قبينة من هذا الاختيار وأيده. وغادرنا (موبق) فى الرابع عشر من شهر أو فبر وقضينا قرابة الشهر نتجول عبر (لوى) حى (ضفاره) وكانت رحلة ممتعة . وسرنا فى القفار حتى بلغنا بئر (الجمة) وهناك عثرنا على آثار رجال وإبل ، وقرر رفاقى أن هذه كانت آثار (على المرسى) وقافلة مؤلفة من ثمانية واربعين رقيقاً أخذهم معه إلى الأحساء ويبدو أن الثروة الضخمة التى ظهرت فى السعودية عن طريق شركة أرامكو الأمريكية كان لها أثر كبير فى رواج تجارة الرقيق فى هذه البلاد . وحدث بعد يومين أن ذهب رفاقى لسقيا الإبل من بئر خيمنا إلى جوارها وفجأة سمعت طلقات وصياحا، وعاد الرفاق فى عجلة من امرهم وأخذوا يستحثوتى على الركوب ، وفهمت أخيراً أن بعض اللصوص هاجهوا البئر وأنا بسبيل مطاردتهم. ولما تمض ساعتان حتى كنا قد لحقنا بهم، وتقدم ابن طاهى منهم وصاح : من آل رشيد أنتم أم عوامر . فأجابته اللصوص : نحن أصدقاء من المناهل وتقدم أحدهم الى الامام وخاطب ابن طاهى الذى رجع الينا قائلاً : إنه جمعان بن دويلان أخو (البس) الذى قتله (اليم) فى العام الماضى، وذهبنا اليهم وتبادلنا معهم التحية والأخبار فعلمنا منهم أنهم

سرقوا جمال المناصر والمناهل جلفاء آل رشيد ، لهذا لم يكن المناصر بذى أهمية لدينا ، وهمس ابن الكمام فى أدنى أن أعرض عليهم خمسة وعشر إن ربالا ليعيدوا الجمال، وسيكون هذا العمل مبعث سعادة لزايد، وهو واثق أننا ان نسلبه الجمال غصبا، ثم ودعونا وانطلقوا وعندما عدت الى (مو يقع) أخبرت زائداً بما حدث فقال : بالله يا مبارك لو أنك قتلت جمعان لمنحك خيرة إبلى فهو أكثر اللصوص ازعاجا لنا . وتناولنا المشاء فى قصر زايد وبعد العشاء امتلات الغرفة يخدم زايد وكانوا يحملون الصقور على أيديهم وهى صقور مدربة على الصيد ، ولا تكاد تفارق صاحبها حتى ساعة الأكل والنوم ، ويسمى الأعراب الصقر شاهينا وجمعها شواهين ، وهناك نوع آخر من الصقور يسمى (الحر) أو الصقر المنقب وهو يساوى فى ثمنه ضعف ثمن الشاهين وفهمت من أحدهم أن اهل نجد بفضلون الحر على الشاهين لحدة إيصاره وإن كان الشاهين أسرع وأشجع . ودخل علينا زايد فنهض الجميع احتراما له ، وبعد أربعة أيام أخبرنا زايد اننا سنقوم برحلة صيد فى الصحراء الجنوبية الغربية ، تستغرق حوالى الشهر ، وانطلقنا من القلعة ومعنا خمسة وعشرون من أتباع زايد وسرنا عبر الصحراء. واستعد حاملو الصقور ونادوا كلابهم السلوقية متوقعين أن يجدوا طائر (الحبارى) وهو طائر اليف بحجم دجاج الحبش يصل الجزيرة العربية من فارس والعراق وسوريا فى بداية الشتاء . وفجأة أشار لنا أعرابى أنه عثر على آثار حديثة وأدنا جمالنا نحوه ووجدنا طائراً يرتفع فى الجو على بعد أربعمائة ياردة وأزاح أحد الرجال الغطاء عن راس صقره وأطلقه فاحق بالطائر فى سرعة عجيبة ثم صاح أحدهم لقد سقطا ، فأخذنا نعدو فوق الرمال . وعثرنا على المقر فى حفرة ، وكان ينقر طير الحبارى . فنزل أحد الرجال عن جملة وفتح رأس الطائر وأعطاه للصقر . وأشار زايد إلى بعض البقع الزيتية على الأرض وسأل : أترى هذا ؟ إن طير الحبارى يرشها على من يهاجمه . وإن هذه المادة إذا دخلت عين الشاهين أعمتها فى الحال . أما إذا وصلت إلى ريشه فإنها تحيله إلى خليط قدر يعوقها عن الطيران . وسالت زابدا كم طائراً يستطيع الصقر أن يصيده فى اليوم . فأجاب بأن الصقر الجيد يستطيع أن يصيد ثمانية أو تسعة فى اليوم – هل ترى أين تقاتلا؟ ثم أشار إلى خط من الريش طوله حوالى الخمس والعشرين يارده على الرمال وقال : بوسعك أن ترى أى معركة قامت بينهما . إن طير الحبارى يستطيع أن يصعق شاهينا بضربة من جناحه . ورأينا جماعة من الحبارى على بعد خمسين ياردة منا ولكن الصقر الذى كشف زايد قناعه ، ونظر زايد إلى مافوق رأسه ثم أشار إلى نسور أربعة تطير فوقنا ثم قال : إن الصقر خائف منها . ومرة أخرى انطلق الصقر وراء حبارى أخرى . ولكنه مالبت أن عاد إلى زايد وضرب على صدره . فقد أنقض عليه نسر وأدهشنى أن النسر تجاهل الحبارى وانقض على الصقر . وقال زايد وهو يربت على الطائر الخائف : لا فائدة من البقاء هنا مع وجود النسور . فلنتابع سيرنا . وقد أخذ التعب مناكل مأخذ . ولكننا كنا راضين عن أنفسنا فى يومنا الأول، وزاد من سرورى أننا استخدمنا الطريقة البدائية فى الصيد ، لا طريقة استخدام السيارات ، كما أصبح شائعا فى نجد . وعدنا إلى (مو يقع) بعد شهر . وكان ابن قبيبة قد وصل من ضفارة بينما بقي ابن غبيشه وعمير فى البوريمي. وبحشت عمن يرافقنى إلى عمان الداخلية فلم أجد . وأخيرا أرسل زايد ، يدعى حميد ليتصل بسالم بن حبروت . وهو شيخ من شيوخ قبيلة (جنوبا) القوية كى يقنعه بأن يلتقى بنا فى الصحراء على حافه بلاد الدور و عند بتر (قسيورة) وقال لى زايد إن سالم يستطيع ارشادكم عبر بلاد الدور وسيقوم بتوصيلكم الى (العز) لأن قبيلتى (الجنوبيا) وسأحطيكم رسالة إلى (ياسر) فى (العز) وهم من أعظم رجال (الجنوبيا) . وقد تتمكنون من دخول عمان . تركنا (مو يقع) فى الثامن والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٤٩ وقد أخذنا معنا جملين اضافيين لحمل الماء والطعام ، وسرنا فى اليومين الأولين غربا واستهدفنا من ذلك تجنب آل بوشمس الذين كانوا مخيمين فى الصحراء الشرقية ، ومن ناحية أخرى أردنا أن نوهم من يرانا أن وجهتنا حضر موت وصلنا (قسيورة) . وعثرنا على آثار حميد وسالم ، كان (فون ريد) أول أوربى تحدث عن الرمال المتحركة فى جنوبى الصحراء العربية، وقد زعم أنه عثر عام ١٨٤٣ على صحراء خطيرة بسمونها (البحر الصافى) فى الربع الخالى شمالى حضرموت، الا ان (برترام) اعتقد أن تلك هى أم السموم التى سمع عنها من دليله . ولقد صممت على أن أحد موقع هذه الرمال التى تأكدت من أنها تقع على بعد سبعمائة وخمسين ميلا شرقى حضرموت . ورأينا أن نستقى من أقرب بئر فى (وادي العين) قبل السفر جنوبا إلى الجانب الشرقى من (أم السموم) . وصلنا إلى وادى الحين . وملأنا جلود الماء دون أن ينتبه الدورو الينا . ولكننا أضطررنا للبقاء فى ذلك الكان بعد أن كدنا نفقد الإبل بسبب البرد القارس . شاهدنا جماعة من حوالى عشرين فارسا تتقدم نحونا وترجلوا على بعد مائى ياردة من مكاننا وسأل ابن الكمام سالما : من هؤلاء؟ فأجابه سالم: لعنهم الله . إنهم سليمان بن خرس وآخرون من رجال الدورو ثم حذق البصر فيهم برهة وقال لحميد : تمال معى ، فمن الأفضل أن نذهب اليهم ونرى ما يريدون . ثم جلسوا جميعا فى دائرة . وتعالق الأصوات واقترح الانضمام اليهم. فنصحتنى ابن الكام بالبقاء وترك الأمر لسالم وحميد الغفريان ، ومن بينهم (سطيعون) وابنه على . وقال (سطيعون) العجوز : إن الشيوخ مصممون على منع أى

مسيحي من المرور في بلادنا ، ولكن بما أنك نزلت عندي منذ سنتين ، فسأخذك أنا وإبنى الى حيث تريد ، بصرف النظر عما يقرره الشيوخ ، ثم سألته هل عرف من أنا عندما نزلت ضيفا عليه . فأجاب : كلا وقد عجبنا كثيرا لك. ولكن لم يخطر ببالا أنك مسيحي . وشرب القهوة ثم طاب مرافقتي الى الشيوخ . وتبادلت التحية والاحبار مع الدورو . ووجدنا سالم وابن خرس يتجادلان . وقال سالم في غضب : ان (الجنوب) مرضى عنهم كأداء عند الدورو . فبأى حق تمنعوننا؟ ورد عليه ابن خرس صائحا ؟ ان تقاليد القبائل لا تطبق على النصارى . وأنرى سطيعون يقول لماذا تخلق كل هذه المشاكل يابن خرس ؟ لا خطر من جانب هذا الرجل . فهو معروف للقبائل . وأنا أعرفه إن كنت لا تعرفه . ولم أجد فيه ميلا إلى الأذى . بل على النقيض من ذلك . وأردف حميد يقول : إن مبارك صديق هيم لزايد . ولقد عاش طويلا بين القبائل وهو ليس كغيره من النصارى ، وتحدث رجلا من الحضور إلى ابن خرس على انفراد ، وقال ابن خرس في فظاظه . يمكنكم السير مع هذا النصراني جنوبا على حافة أم السموم إلى أن تخرجوا من بلادنا . على شريطة الاتستقوا من أبارنا . وفي الصباح ملأنا جلود الماء . فقد خشى سطيعون ألا نستطيع السقيا من العميرى . وطلبت منه أن يرافقتنا على طول حافة أم السموم كي أرى تلك الرمال المتحركة . ووافق قائلا : ليس هناك في الحبقبة شيء يمكن أن تراه . وسرنا حتى وصلنا مجرى ماء يطلقون عليه إسم (زويقتي) . وكان هناك سهل تراهي اللون لاجر فيه ولا نبات ، واستدار سطيعون نحوى قائلا : فالأرض هنا تتكون من مسحوق جبسى أبيض مغطى بطبقة من الملح – وخطوات إضع خطوات إلى الأمام . ولكن سطيعون نصحنى بألا اقترب أكثر مما فعلت . وأكد لى أن فرقة لصوص من العوامر قد هلكوا في هذه الرمال . وأنه رأى بنفسه قطيعا من الماعز يختفى تحت سطح هذه الأرض . واستقينا في (العميرى) ولم يمنعنا أحد . وكنت مشوقا إلى زيارة رمال الغربانيات غربى أم السموم . وهذه الرمال مشهورة بكثرة وعولها وعاد سطيعون إلى مخيمه بعد أن أناب (عفر) عنه في ارشادنا حتى نصل إلى وهيبة . وعرض علينا (عفر) فكرة السفر عبر رأس السموم الجنوبي . فطمأننا بأنه يعرف عرا مأمونا يوفر علينا السفر الطويل . وسرنا عل أرض لزجة محاولين أن نسدن الإبل حتى لا تزاق وكنا تخوض وحلا أسود لزجا وبعد ذلك وصلنا الى أرض كلسية ورأينا الربع الخالى ، ذات الوان دافئة تتخللها بعض المراعى . وفكرنا في البحث عن الدخول واقترحنا مازحا أن يقرأ أحدهم الرمال وتطوع ابن طاهى لهذا العمل وأعلن أن الوعول فى الناحية الجنوبية على مقربة من السحمة . وذهبنا جنوبا الى (السحمة) ولم نجد الوعول وسرنا مدة تسعة أيام أخر فوصلنا إلى (فاراى) على حافة بلاد وهيبه وفي (فاراى) وجدنا جموعا من قبائل (وهيبه) و(الجنوب) والحراصيص) . وجميعهم منهمكون فى إدواء إبلهم وقطعاتهم ، وحدث أن تعرف صبي من (وهيبه) على جمل ابن قبينة وصرخ بأنه سرق منه منذ عدة أشهر ، وطمأنى ابن الكمام الاحق للصبي فى الجمل ، فقد اشتراه ابن قبينة ولكن الصبي تشبث باسترجاع الجمل ، وقبل أن قبينة أن يرده اليه مقابل إعطائه جملا أحسن منه بكثير أعجبه . وأنى الينا رجل عجوز فى (فاراى) وكان أحد شيخين من (وهيبه) قضيا الليل معنا فى (حوشى) منذ عامين ، ودعانا الشيخ إلى مخيمه ورفضنا الدعوة فقد كنا نريد الذهاب الى الساحل وعرض علينا أن يرافقتنا ولكنه كان هرما فاقترحنا أن ينوب عنه ابن عمه (أحمد) وكان شابا لطيفا ، واستقينا مرة أخرى فى وهائج ، على مقربة من الساحل الجنوبي . هانحن الآن فى جنوبى شبه الجزيرة العربية على ساحل المحيط الهندى . وأردت أن تكون تلك العودة عبر عمان ولا بد لمثل هذه الرحلة من جهد دبلو ماسى أشق من الجهد الجسمانى ، وأفرت (أحمد) أنى أود السفر شمالا إلى وادى (بطحا) ثم نعود إلى (مويق) وهذا الطريق مستمر عبر صحراء (وهيبه) التى الحرق شوقا إلى رؤيتها ووجدت منه تشجيعا لفكرتى . وقال اى ر أحمد (إنك حرفى الذهاب حيث تشاء فى أرض (وهيبه) ولن يحاول أحد منعك . ولكن القبائل التى تقطن سفوح الجبال تختلف عنا ، وستثير المشاكل حملو عرفت من أنت ، تماما كما فعل الدورو . إن إجتياز الصحراء ميسور ، أما الجبال فعلى العكس . فالبلد ضيق جداً . ولن يكون سهلا أن نتحاشى الأنظار . سأبعد بك ما أمكن ، وسيكون معنا أحد زملائك بينما يظل البانغون فى وادى (حلفين) حتى نعود إليهم . ودخلنا فى اليوم الثانى وادى (عندام) الذى يبعد بضع أميال عن وادى (حلفين) ، وبعد أن اجتزناه شمالا وصلنا إلى (النافى) وهناك عثر أحمد على رجل من قبيلة (الحيا) يدعى (سلطان) كى يقودنا عبر الصحراء إلى وادى (بطحا) وذهبت معه مستصحبا ابن قبينة واتفقت مع الباقيين على اللقيا فى نقطة تبعد قليلا إلى الشمال فى وادى (الحلفين) . وفى اليوم التالى وصلنا بثر (طاوى هريان) التى يبلغ ثمانين قدما عمقا ومضى بنا المسير حتى وصلنا وادى (بطحا) ويبلغ اتساعه حوالى ستة أميال ويحده من الجانب الآخر حزام ضيق من الرمل يلى ذلك تلال منخفضة قائمة اللون وتمتد شمالا سلسلة جبال (حجر) العالية ، وقد استطعت من موقفى أن أرى قمم جبال (جعلان) واقترحت على أحمد وسلطان الا نعود رأسا بل تسافر عبر القرى التى تقع أسفل الجبال ولكن أحمد رفض قائلا إنه سيرينى ما يمكن رؤيته من هذه البلاد ويجب ألا يعوف أحد أنتى نصرانى . وحذرني أحمد الا أتكلم عند

لقائنا بأعراب وأشار على ابن قبينة أن وشاهدت ونحن نصعد الوادى أن هناك قرية نصفها مدفون في الرمال . وقد أشار إليها سلطان قائلاً . إنها كانت مأهولة منذ بضع سنوات وإنما ستختفى بمضى الزمن تحت الرمال . والتقىنا بجماعة من الأعراب في طريقنا، وكانوا مسلحين وشاهدت عيونهم وهي تتفحصنا جميعا ولكنها تتركز داما على سؤال أحدهم مشيراً إلى : أهو (تنوخى) وكانت اجابة أصحابي ، وإني قادم من صور على ساحل مسقط ، وأن مهني بيع الرقيق . وأنى ذاهب إلى نزوى ، كانت لحظة حرجة لكنها مرت بسلام. وبدأت لنا من بعد بلدة (الحرث) ولكن سلطان نصح بتجنبها حتى لا نلتقى بشيخها صالح بن عيسى رأس قبائل (الحناوى) ويكشف عن حقيقتي فيسوء المآل . ووصلنا إلى بلدة (الحبوس) وكان طعامنا قد أوشك على النفاد ، وأكملنا طريقنا هابطين الوادى ، مارين بعدد آخر من القرى الواقعة حافة على الوادى . وكان اليوم صافيا فاستطعت أن أرى قمة الجبل الأخضر التي يبلغ ارتفاعه نحو من عشرة الاف قدم . وتقدمنا نحو بئر في وادى (عندام) واسترعى نظرى رجل يرتدى كوفية من الصوف الموشى، قد القيت يتراخ حول رأسه، قائلاً : إنه على بن سعيد بن راشد شيخ (اليها هيف) وتبادلنا التحية فقال لى : أخيراً وصلت سالماً . وكلهم بخير وينتظرون أوبتك ، سنخيم الليلة مع البلوخييين على أن تذهب غداً إلى هناك . وقصينا الليل في مخيم البلوخييين وعلمت من الشيخ على أن أصل هؤلاء القوم من فارس ولكتهم عاشوا بين قبائل (وهيبة) حتى أصبحوا منهم ، وصلنا إلى بئر في وادى حلفين بعد أن قطعنا حوالى المائتين والخمسين ميلاً منذ أن فارقنا بقية الرفاق . وقضينا اليوم الذى بعده فى مخيم على ، وقد حذرنا بأن القبائل الغفرية التي تسكن فى الشمال، قد علمت بمقدمنا وبوجودى بين قبائل (وهيبة) وأنهم مصممون على منعى من المرور فى أراضيهم وأشار على أن أسافر على طول الساحل إلى مسقط ، على أن أتابع سيرى عبر (الباطنة) ولكن معنى هذا أن أتخلى عن هدفى الأساسى من رحلتى وهو استكشاف داخل عمان . وأخبرت علياً أن زايده قد أعطانى رسالة لياسر يطلب إليه فيها مساعدتى وسألته هل يعتقد أن باستطاعة ياسر أن يعيدنى إلى (موقع) فأجاب أجل ، أعتقد أن ذلك باستطاعة ياسر ولكنى أشك فيما إذا كان سيفعل، فهو لا يريد الإساءة إلى الامام . وأرسلت حميداً إلى ياسر برسالة زايد عندما صرنا قريباً من (عدم) وهى قرية صغيرة تقع ما بين (مضمار) و(سلخ) . وفى اليوم التالى خيمنا شمالى (مضمار) فى قرية (طاوى ياسر) حيث اتفقت مع حميد أن يجتمع بى . وانظرنا عودة حميد ، وأخذت أفكر ماذا سيكون موقنى لو أن ياسر رفض مساعدتنا ، وكدت أندم على ارسال حميد إليه ، معتقداً أننا لو سافرنا بسرعة لأمكننا عبور الصحراء دون أن يرانا أحد . وجلس ابن قبيدة على مقربة منى ، يرتق فتوق قميصه الذى أصبح فى حالة يرثى لها، وسألته فى انزعاج لماذا لا يلبس قميصه الجديد ، فتردد قبل أن يعترف بأنه منحه لسلطان الذى كان فى حاجة إلى قميص، وأذه لم يشأ أن يطلب متى نقوداً لأتى رفضت طلبه من قبل . والحقيقة أن هذا كان صحيحاً . فند اقترض منى عدة مرات ولكنه كان يعطى المال لمن يطلبه منه. فحاولت الحيلولة دون هذا التبذير الدائم للمال الذى سيحتاجه فيما بعد . وعاد حميد فى وقت متأخر من بعد الظهر وقد جاء معه ياسر وثلاثة من الأعراب، وأخبرنى حميد أن ياسراً قد أخرجته وجودى كثيراً. فقد أصدر الإمام أمراً بالقاء القبض على إذا مررت من هذا الطريق ولكن ياسراً اضطر إلى مقابلتى لوجود رسالة معى من زايد وافهمنى أن ليس باستطاعته أن يعود بى إلى « موقع » دون إذن من الامام وعلى هذا فسياسفر فى الصباح إلى (نزوى) ليرى رأى الامام فينا ووعدهم بأن يأخذنا ابنه إلى مكان فى منتصف الطريق بين (نزوى) ، وأخذت (ياسر) جانباً وأخبرته أن صديق الحميم زايد أكد لى أنه أقرى شيخ فى تلك الارحاء، وأن باستطاعته أن يسهل لى عبور عمان فى أمان وأبدبت استعدادى لتنفيذ كل أوامره، على ذلك أن طلب إلى الذهاب مع ابنه واعد ابلاقاتى فى اليوم التالى بعد الحصول على إذن من الامام، وخيمنا فى اليوم الثانى على بعد عشرة أميال من «نزوى»، وإن ظلت المدينة بعيدة عن مواقع بصرنا خلف حافة صخرية ، وكان الهواء نقياً واستطعنا رؤية الجبل الأخضر كله ومعه عدد من الأعراب وقال إنه أثناء سيره إلى (نزوى) التقى بفرقه من فرسان الامام أرسلها للقضاء علينا . فأعادها الى (نزوى) ثم استطاع بعد طويل جدال أن يقنع الامام بمنحى إنا بالعودة الى (موقع) وقد أرسل الامام أحد رجاله مع ياسر مندوباً عنه . وبينما كنا نجتاز طريقنا الى (موقع) مررنا بثلاثة رجال ممتطين ظهور إبلهم . كان أحدهم رجلاً قصيراً يخت فى تحت عمامة كبيرة بضاء. إنه الرقيشى المفزع حاكم (عبرى) وحياه ابن الكمام . فرد عليه الرقيشى بما يظهر نغمته عليه لوجودى بهذه البلاد . وأتجهنا من (عبرى) شمالاً فوصلنا (موقع) فى السادس من شهر أبريل بعد أن قطعنا ألف ومائة ميل منذ تركنا قلعة زايد فى الثامن والعشرين من شهر يناير . خاتمة وعدت مرة أخرى من انجلترا فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، وقد انتويت أن استكمل خريطتى فى داخل عمان والجبل الأخضر . وفى (موقع) وجدت ابن قبينة وأخاه وان غييشة وابن طاهى والجبرى، أما ابن الكمام فقد كان فى « ظفار » وكان الجميع على استعداد للسفر معى . وأرسل زايد الى « هو يشل مشيخ الدورو كى يرافقتنا فوصل بعد ستة أسابيع، ووعدنى بأن يدلنى على سليمان بن حميد فهو دون غيره قادر

على أخذى إلى الجبل الأخضر . وغادرننا « مويقع » وجدبنا المسير عشرة أيام والتقينا فى طريقنا بابتن خراس الشرسى الذى اعترض طريقنا فى العام الماضى . ودار نقاش جاد بين رفاقى وابن خراس الذى أصر على منعنا من المرور واهتاج « هو يشل » وأرغى وأزيد . وصمم على المسير رغم أنف ابن خراس وكادت تحدث معركة لولا أن أبى عبيشة أفهمنى أن الأعراب جادون فى نصرافناهم وأنهم سيطلقون علينا النار اذا حاولنا السير، وسأكون أنا أول الضحايا وناديت (هو يشل) ، واقترحت عليه أن يذهب الى « على بن هلال) رئيس هذه القبائل الغفرية للحصول منه على تصريح لى التجول فى البلاد ووافق الجميع على هذا الإقتراح، وسمعت ابن خراس يتمم قائلاً : لن يمر مبارك عبر بلادنا حتى ولو أعطاه مائة على بن هلال أذنا بالمرور ، واعدنا . أن يعود بعد ثلاثة أيام ، وجاءنا ابن خراس بعد ثلاثة أيام يطلب الينا مغادرة المكان ، فلم يعد « هو يشل » كما وعد وحاولت إطالة الوقت بإقامة سباق بين الإبل ومنح جائزة لأفضل جمل ، ليعلن ضرورة أبعادى فى صباح الغد ورفض أن ي شرب القروة. ورأى الجميع ضرورة الرضوخ، وفى اليوم التالى وبعد أن اجتزنا نحو ثمانين ميلا فى اتجاه الغرب وصل « هو يشل » يحمل أذنا بالموافقة على سفرى وعلل تأخيريه بهبوب الرياح ولم أرد أن أعاديه فلم أظهر له سخطى عليه لتأخره وقد وعدنا أن يسير بنا إلى وأدى العميرى . والتقينا فى وادى الأسود ببعض أفراد الدورو وكان أحدهم يعانى من الحى فأعطيته قليلا من الكينا والأسبرين، خشية أن تكون ملاريا. وبدأ الماء ينفد وشعرت فى المساء بألم فظيع فى رأسى، وأرتفعت درجة حرارتي، فأطلق علينا بعض « الدورو) الرصاص، وذهب اليهم « هو يشل » وأقنعهم بتركنا غمر ، ومضت ثلاثة أيام وصلنا فيها الى مكان يبعد حوالى العشرة أميال الى الجنوب الغربى من (غز) وذهب (هو يشل) و « الجبرى » الى سليمان بن حميد فى (تنوف) ليستأذنه فى زيارتي له ، وبعد ثلاثة أيام أخرج عادا لخبرانى أن سليمان قد دعانى الى « بركة الموز) لمقابلته وعلمت منهما أنهما فى طريق عودتهما، حاولا التوقف فى مدينة « مرله » فأغلق السكان الأبواب دونهم ، وأن سليمان نصحهم بعبور الوادى عن طرق قرية « المسمور) فى منطقة الخاصة . وفى صباح اليوم التالى نبهنا رجالنا الى أن نحوا من مائة رجل مسلح مخيمين عند مجرى النهر القريب . وجاءنا أربعة منهم ليبلغونا أمراً بمغادرة البلاد فوراً وحاول « هو يشل » أن يقنعهم بالانتظار حتى ياتينا رد من سليمان فلم يقبلوا، وسمعتهم يتجادلون حول من منهم سيقطنلى لينال الجائزة. ووصلنا رسول من سليمان بن حميد يقول : إنه فى الطريق الينا ووصل سليمان بعد الظهر وخيم فى (المعمور) وتقابلت معه وكان يبدو عليه الغضب من الأمام وتأكدت أن الإمام، كان على حق فى عدم ثقته فى سليمان . إذ أن سليمان يتمنى أن تعترف به الحكومة البريطانية كحاكم للجبل الأخضر . وخاب أملى فى زيارة الجبل الأخضر ولم يستطع سليمان أن يحقق لئنا ذلك وعدنا أدراجنا إلى الشمال فوصلنا (مويقع) يعد عشرة أيام وقضيت هناك أياما مع زايد قبل أن أغادرها إلى « دى)) ولما كنت أعلم أنى ذاهب الى غير رجعة فقد أثرت أن آخذ معى ابن قبينة وابن غبيشة ليبقيا معى إلى حين مغادرتى لشبه الجزيرة العربية . واعتاد ابن قبينة وان غبيشة الحياة معنا فى بيت هندرسون ومساعدته الذى نزلنا فيه . كيف سيذهبان الى الشارقة وهى تبعد اثنى عشر ميلا فأجابا : بالسيارة وطلبا بعض المال لاستجار سيارة، واقترحت عليهما الانتظار والذهاب الى هناك فى سيارة البضائع التى سيرسلها هندرسون الى هناك ولكنهما كانا قلقين ، وقال ابن غبيشة إن قريبه هذا وقع فى مأزق فلا بد من مساعدته. هل تريدنا أن نتركه وليس له سوانا معين ؟ . وانطلقا فى سيارة الشحن، ثم عادا فى المساء وظرر أن الرجل أخلى سبيله قيل أن يذهبا : وسألت ابن قبينة هل يحب أن يحيا حياة المدن فاجاب : كلا ليس هذه حياة الرجل . لقد سألت كثيرا لماذا يتب اليدو حياة الصحراء مادامت قاسية، خشية أن يقتلا أأذا بالثأر القديم . وبعد أن عدت الى انجلترا، سمعت أن ابن قبينة جمع أبله وعاد الى (حبروت). أما ابن غبيشة وإنه بقى فى ساحل الهدنة.: لقد كتب الفناء على أولئك البدو الذين عشت معهم وسافرت معهم وأحسست القناعة فى صحبتهم وقد يظن بعض الناس أن حياتهم ستصير الى أحسن عند ما يستعيضون عن فقر الصحراء وقسوتها برفاهية العالم المادى ولكنى ١١ أعتقد ذلك . سأظل أذكر دائما، كم اخجائى هؤلاء البدو والأميون بخصال الكرم والشجاعة، والصبر التى كانوا يتحلون بها والتى تنقصنا نحن المدنيين. وفى اليوم التالى وبعد تناول طعام الفطور ، وصلت سيارة ، فتعانقتا للمرة الاخيرة ، وقلت لهما « اذهبا فى أمان الله » وردا على قائلىن : فليرعك الله يامبارك ثم ركبا الى جانب لاجىء فلسطينى يليس ثيابا وقد لطحها بالنفط وان هى الا دقائق حتى غابا عن ناظرى .